النتاج الجديد

ذكريات مشاهير المغرب

تأليف : عبد الله كنون

***

ما يزال المغرب العربي الكبير يزحف في قوة دافقة لتعويض ما فاته طوال السنوات الماضية في ظل النفوذ الاجنبي ، وليستعيد مكانه مع جناح المشرق العربي في عالم الفكر والادب والثقافة على نحو واضح حقا ، مثير حقا ، فالمطابع في القاهرة وبيروت وتونس والرباط وطرابلس والجزائر مشغولة دائما في هذه الايام بهذا النتاج الثري القوي، واسماء عبد الله كنون ومحمد علي دبوز وابو القاسم كرو وعلي المعراتي في الاقطار الاربعة : المغرب والجزائر وتونس وليبيا ، وعشرات اخرى من الاسماء تلمع وتزداد قوة ، ولا تتوقف عن تقديم الجديد في مجال الكشف عن التراث القديم ، والاثر الخفي ، وتحليل جوانب التاريخ ، وابراز مجد الامة ورسم صور للبطولات العربية الاسلامية التي برزت خلال العصور ، وتغطية جوانب النقص في مجالات الفكر والتاريخ والادب على نحو يلفت النظر حقا ، ويستدعي التقدير والاعجاب ، ويفرض على الباحث الناقد ان يرقب الظاهرة الجديدة لدرسها والمضي معها ،ولست حين أذكر هؤلاء الاعلام الاربعة ، اقف عندهم ، ففي هذه الاقطار اعلام كثيرون وكتاب ونقاد ومؤرخون ، ولكني اجد في هؤلاء العمل المتصل بحيث لا تنسى اسماؤهم ، وبحيث يتجدد الكلام دائما عن اثارهم ، وبما يمثلونه من طابع واضح الاتجاه نحو الكشف عن الجوانب الغامضة وابراز الزوايا المجهولة واحياء القطاعات التي طال عليها الامد .

...

والاستاذ العلامة « عبد الله كنون » اسم لامع في المشرق والمغرب جميعا ، وله في المشرق مكانة كبرى فقد طوف به واتصل بمعاهده واعلامه ومفكريه ، وانتسب الى مجمعيه العظيمين في دمشق والقاهرة ، وطبع مؤلفاته في بيروت ، وهو ما يزال منذ اكثر من ثلاثين عاما يسهم مساهمة فعالة في نشر الثقافة العربية على نحو رصين قوامه الفهم الصادق والتقدير العميق لقضايا الاحياء والترجمة والنقل والاقتباس من الفكر الانساني على قاعدة مبسوطة ثابتة من الثقافة العربية الاساسية ، ومع ايمان كامل بشخصيتنا اساسا وبكل مقوماتها ، ولعل هذا « الوجه الاول » الذي التقينا معه على صفحات الرسالة منذ عشرين عاما ،يكشف لنا تراث المغرب واقطاره واعلامه ولم يحل النفوذ الاجنبي يومها دون ان يكتب وينشر وتصادر كتبه ، ويوالي عمله في مجالات واسعة ، مواجها مختلف التحديات ، في وقت كان النفوذ الاجنبي يصنع بيننا وبين هذا الجزء من امتنا العربية ستارا كثيفا ، فكانت ابحاثه اندارا كاشفة وكأن ارتباط (طنجة) بالقاهرة عن طريق (الرسالة) جزء من الدعوة العربية للوحدة والحرية . ولعله بهذا يسجل فضل السبق في عملية ربط المغرب بالمشرق وتعريف المشرق الى المغرب سائرا في ذلك على هدى صفوة من الابرار عبد العزيز الثعالبي ومحمد بيرم الخامس وعلال الفاسي والبشير الابراهيمي .

وهو يرى ان رسالة الادب العربي رسالة خالدة يجب ان لا تقتصر على الاغراض اللفظية ولا على المتعة الذهنية ولا على المعاني الذاتية ، التي لا يشعر بها الا الاديب المتكلم عن نفسه . ومهمته الهدم والبناء والعمل الجماعي المؤدي الى الغاية وغايته فتح الاذان الصم والاعين العمي والقلوب الغلف وقد وجه نفسه منذ شبابه الى ميادين ثلاثة :

اولا : التمهيد والتمكين للغة الضاد وادابها خشية ان تجرفها الرطانات الاجنبية .

ثانيا : الكشف عن ذخائر التراث القديم من اداب وعلوم وجوانب باهرة ويتمثل ذلك في كتابه « النبوغ المغربي » .

ثالثا : دراسة اعلام المغرب الذين كانوا ذوي اثر باهر في الحضارة العربية .

وفي هذا المجال الاخير يبدو عمله الكبير الذي نقدمه اليوم (ذكريات مشاهير رجال المغرب) وهي حلقات صغيرة منفصلة يتناول كل منها شخصية ، وقد اصدر منه ٢٥ جزءا ثم توقف خمس سنوات وعاد في العام الماضي الى اصدار اجزاء جديدة في طباعة بيروت الانيقة . وقد تناولت هذه الدراسات من المعروفين في المشرق امثال : الشريف الادريسي وابن بطوطة ومن الذين نتعرف اليهم امثال عبد العزيز القشتالي وابو القاسم الزياتي ومحمد بن ادريس ومحمد السنوسي وبو جعفر بن عطية وابو العباس الجرادي، وميمون الخطابي، ومالك بن المرحل، وعبدالعزيز الملزوزي والامير سليمان الموحد ، وعثمان السلالجي وابن غازي وابن زاكور وابن الطبيب العلمي وابن الونان وابو عبدوس المكناس ، وابو بكر ابن شيرين وابن رشيد وابو موسى الجزولي وابن جروم وابو القاسم الشريف وابو الحاج الفاسي واحمد زروق وعبد المهيمن الحضرمي وابو العباس العزفي ..

ولهؤلاء الاعلام تاريخ باهر وعمل كبير في حياة المغرب الثقافية والحضارية .. وقد كانت اسماؤهم مدفونة في الاضابير ، اولا يعرفعنهم الناس الا القليل فاراد « كنون » ان يذيعهم ويطلع الناس على فضلهم كجزء من خطة ضخمة في سبيل الاحياء الادبي والثقافي للتراث العربي الاسلامي .

وقد وصف هذه الشخصيات بانها « الشخصيات التي كان لها اثر محسوس في هذا الصراع الحيوي والتي فازت باكليل الغار فبقي ذكرها محفوظا في الدفاتر وان محي من صدور الناس الا قليلا من قليل » وتعتبر هذه الدراسات تكملة لعمله في كتاب النبوغ المغربي،الذي قدم فيه طائفة من اعلام الادب المغربي العربي يقول « وبعد كتابة (النبوغ) بقيت في النفس حاجات متعلقة بتراجم الاشخاص المذكورين فيه، خصوصا المشهورين منهم والذين يوحي تتبع تراجمهم بمعاني من السمو النفسي والفخر الادبي » .

وهو لا يعد هذه الدراسة القصيرة تراجم علمية لهؤلاء الاشخاص

قائمة على التحليل ومستوفية الاغراض الواجبة « لان المصادر تعوزنا كثيرا ، وما جمعنا من الاخبار والآثار على كونه اكثر مما جمعه أي ديوان عن هؤلاء الافراد ومنهم من لم يكن احد يعرف انه مغربي اصلا ،وانه لا يكفي لكتابة حياة Biografia لواحد منهم ، ولهذا دعونا الكتاب (ذكريات مشهوري المغرب) ولم ندعه (تراجم) » على سلاسة العبارة وطلاوة الاسلوب وحرارة النكتة واستثارة روح الاعجاب مع الامانة والصدق وعدم الغلو في مدح او تقدير شيء من الاشياء وهذه (الذكريات) طبقات مختلفة : منها اهل الادب ورجال العلم والسياسة، وقد رتب اسماءها على العصور ثم على التقدمية ، وتناول فيه اشهر المشهورين والشهرة عنده هي « شهرة المرء في عصره بالصفة التي ميزته عن غيره لا شهرته عندنا . فقد يكون الشخص غير معروف عندنا بالمرة وتذكره ، وبالعكس قد يكون مشهورا لدينا ولا يستحق الذكر هنا لخلف الموازين في عصرنا عنها في العصور السابقة ، بسبب ضعف ملكة النقد ومرض الذوق وقعود الناس عن التحصيل » . ولا شك ان هذه الموسوعة جديرة بالتقدير حقا ككل اعمال السيد عبد الله كنون هذه الاعمال التي نالت تقدير المنصفين وكبار المفكرين ، واية ذلك رأي امير البيان شكيب ارسلان حين قال عن كتابه النبوغ « كنت اعهد نفسي من المشارقة الرجل الذي اطلع اكثر من غيره على تاريخ المغرب واهله ، وانعم النظر فيما يتعلق بثقافته وسياسته وسائر شؤونه ، ولكني رأيت نفسي بعد ان طالعت هذا الكتاب كأني لم أعلم عن المغرب قليلا ولا كثيرا، وكدت اقول ان من لم يطلع على هذا الكتاب لا حق له ان يدعي في تاريخ المغرب الادبي علما ولا ان يصدر في حركاته الفكرية حكما » .

وعبد الله كنون مؤمن ايمانا صادقا بالامة العربية وبالمغرب وكفاحه « كأحد الشعوب العربية الاسلامية التي اثلت مجدا وحضارة وضربت بسهم وافر فائز في ميدان العلم والسياسة ثم تعدت به الجدود العوائر في مجاراة الاحياء وسنن الكون فوجب تنبيهه الى ما كان له من عز وكمال ونفخ روح الحفاظ والحمية فيه . وقد بذل المغرب جهدا في سبيل اثبات شخصيته والمحافظة على كيانه امام المؤثرات القوية التي حاولت مرارا أن تمحوه من صحيفة الوجود .. »

ويحدث عبد الله كنون عن تطور فكره فيقول انه لا يستنكف أن يصرح بانه ـ اي نفسه ـ أعد أعدادا ليكون من الفقهاء الذين يحكمون ويفتون ، ولذلك فهو قد جعل من قول شعبه نبراسا له « كل علم ليس فيه حدثنا واخبرنا فهو خل وبقل » يقول « ما عالجناه منذ فجر النهضة التعليمية بهذا الوطن العزيز من (التمهيد) والتمكين للغة الضاد وادابها خشية ان تجرفها الرطانات الاجنبية المختلفة ، واسجل أن دراساتي الفقهية والحديثية قد افادتني كثيرا من الناحية الادبية ، واني لاحظت مآخذ كثيرة على آثار بعض الادباء انما جاءتهم من عدم المامهم بشيء من تلك الدراسات » .

وهو من المؤمنين باللغة العربية « التي تتسع اليوم لكل الافكار الحديثة من فلسفية واجتماعية وعلمية وفنية تؤديها بكل وضوح » وقد تأثر بكتابات عبد الحميد بن باديس التي وصفها بانها « كان لها كبير الاثر في توجيهي وانارة الطريق امامي الى كثير من الخير » ويرى ان مؤلفات محمد عبده وفريد وجدي ورشيد رضا ومصطفى الغلاييني ورفيق العظم وكرد علي كان لها نفس الاثر .

وقد وجه نفسه منذ مطالع شبابه الى دراسة الجوانب الغامضة والمهملة من تاريخ الاندلس والمغرب وتحليل الشخصيات التي كان لها اثر واضح في ادب المغرب ، كما اهتم بالابحاث اللغوية والعامية المغربية وجامعة القرويين ، وكتب عن اثر محمد عبده والكواكبي ، واحمد زكي باشا والرافعي والمتنبي ، كما كتب عن تحرير المرأة ودعا الى تعليمها ، وعني بالتصحيحات اللغوية واحياء الكلمات وتحقيق الوقائع التاريخية كما تحدث عن المخطوطات العربية والكتب المنسوبة لغير اصحابها .

وبالجملة فان فضل عبد الله كنون على الادب العربي المعاصر واضح جلي ، وان اعماله الادبية والفكرية : (خل وبقل ، التعاشيب ، واحة الفكر) وهي مجموعة من المقالات المنوعة تناولت عديدا من الدراسات الادبية . وله كتاب (التحقيقات) الذي اعلن عنه منذ وقت طويل ولم يصدر بعد وقد درس فيه مجموعة اخرى من اعلام المغرب غير التي قدمها في كتابه الضخم (النبوغ) وموسوعية الذكريات .والامل ان يصدر قريبا ليستكمل حلقة هذا العمل الكبير النافع .

القاهرة

انور الجندي

معنى الوجودية

★★★

هذا عنوان لكتاب من منشورات « دار الحياة » في بيروت ،ومما يؤسف له ان دار النشر الموقرة اغفلت ذكر اسم المؤلف على اهمية هذا الموضوع .

في هذا الكتاب حاول المؤلف ان يعطي فكرة ـ أرادها واضحة ـ عن مدارس الفكر الانساني الوجودي ، وخاصة الوجودية المؤمنة ويمثلها كارل جاسبرز ، وغبريال مرسيل ، والوجودية الملحدة ويمثلها جان بول سارتر وميرلو بونتي .

ونحن لسنا بصدد نقد الكتاب كاملا ، وانما فقط سنحاول مناقشة الكاتب المجهول في انتقاده « واقعية الانسانية الوجودية » وثانيا « معقولية هذه الانسانية وتسلسلها المنطقي » ، وقد قال بالحرف الواحد ما يلي : « لقد أراد بها بناتها ان تكون نقطة انطلاق لانسانية متفوقة ، ذات وجود مستمد من ذاتها ، قادرة على ان تحيا بانصارها حياة قوية صحيحة . فاعلنت أن الانسان سيد مصيره ، وانه قادر على خلق ذاته وحيدا مستقلا عن الاخرين ، يختار هذه الذات في حرية تامة ، دون ان يستهدي اية قوى في طريقه ، او يعتمد مقاييس موضوعة له » .

واي شيء هناك في ارادة بناة الحركة الوجودية أن تكون حركتهم نقطة انطلاق لانسانية متفوقة ؟ طبعا لا شيء هناك ابدا . وانا ارى ان ارادتهم هذه اول خطوة في تطبيق الفكرة الوجودية ، التي تعبر عنها سيمون دو بوفوار بقولها اريد أن يكون لفكرتي مؤيدون لها ومتبنون يسعون لتحقيقها وتطويرها كأنها فكرتهم الخاصة .

وارادة الوجوديين هذه عدا عن كونها واقعية ، فهي نتيجة منطقية لوجود « الفكرة الوجودية » .

اما ان تكون الانسانية ذات وجود مستمد من ذاتها ، فذلك يخالف ما اورده الكاتب المجهول في الكتاب نفسه الذي اعتمد سارتر فيما يظهر مرجعا اولا ، وفيه يقول سارتر عن الله : « هناك تناقض ضمني في الفكرة التي تقول بوجود كائن يستمد وجوده من نفسه » فكيف يمكن لسارتر أن لا يقبل هذه الفكرة بالنسبة لله ، ويتهمها بالتناقض ، بينما يقبلها بالنسبة للانسان ؟ وانا من مطالعتي لما اورده الكاتب المجهول نفسه نقلا عن مؤلف سارتر الوجود والعدم ، لم انوصل الى هذه النتيجة التي وصل اليها الكاتب المجهول ، بل رأيت ان الوجودية لا تبحث ابدا في اصل الوجود ، وانما تسعى للاحساس الحقيقي بهذا الوجود،وذلك بالاتصال مع الاخرين .

واما عن اعلان الوجودية بأن الانسان سيد مصيره ، فلي تفسير لكلمة المصير يختلف عن التفسير الشائع ، وعلى ما اعتقد هو المصير الذي اراده الوجوديون ، وهو على الشكل التالي : بما ان امامي ممكنات عديدة قابلة للتحقيق ، وانا غير قادر على تحقيقها جميعها ، فلا محيص لي عن الاختيار بين هذه الممكنات ، وانا حينما اختار فانا اختار مصيري ، وفي رأيي ان في كل اختيار يتحدد مصير جديد لي ، وبما انني انا الذي اختار فانا فانا سيد مصيري في تلك اللحظة .

واما قول الكاتب المجهول بان الوجودي قادر على خلق ذاته وحيدا مستقلا عن الاخرين ، فهذا قول ظالم لان الوجودي كما ذكرت يعتقد بانه لا وجود له ما لم يوجد الاخر ، وقد قالت سيمون دو بوفوار في كتابها

« بيروس وسنيأس » انا احس انني احقق وجودي عندما يفسح لـي الاخرون مكانا بينهم . ولكنهم لن يستطيعوا ان يفسحوا لي هذا المكان ما لم اجعل في حياتي وحولي مكانا لهم . فاين هذا القول من ادعاء الكاتب المجهول القائل بان الوجودي قادر على خلق ذاته وحيدا مستقلا عن الاخرين ؟

وبناء على ما اسلفت ارى ان بقية العبارة التي يتابع فيها الكاتب المجهول اتهامه للوجوديين بالانانية المفرقة ، والغرور المفرط مردودة لما بينت من عمق اتصال الوجوديين بالاخرين .

هذا وقد اورد الكاتب المجهول العبارة التالية : « وقد اثبتت الظروف التاريخية التي مرت بها هذه الوجودية ان الذين اعتنقوها وآمنوا بها وانتصروا لها ، قد تردوا في الابتذال وسقطوا في مهاوي اليأس الصغير ، واللامبالاة الجبانة التي تخاف مسؤولية البناء ، فاكتفت بتحمل مسؤولية اللامسؤولية » .

اعتقد ان الوجودية التي حاول الكاتب المجهول بسطها في كتابه « معنى الوجودية » هي وجودية سارتر بالدرجة الاولى ، ومن ثم تطرق للوجودية المسيحية ، كما ان نقده بصورة خاصة ، كان موجها لوجودية سارتر ، لذلك كان من الاجدر عند اطلاق حكم كهذا ان يحصر الحكم في سارتر واتباعه ، ان كان يشملهم ، والا يقحم فيه الوجوديين منذ عرف التاريخ الوجودية . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، اننا لم نعرف عن سارتر الا ما هو مشرف للانسانية جمعاء لا له وحده ، ويكفي انه قاد حركة المفكرين الاحرار في فرنسا ضد الاستعمار ، هذا عدا عن نضاله على صفحات مجلة « الازمنة الحديثة » في سبيل حرية الانسان، بالاضافة الى زجه في ظلمات السجون لما كان من دفاعه عن الفكرة الحرة ، فاين الوجودية التي يمثلها سارتر والتي قصدها الكاتب المجهول في نقده ؟ اين هي من مظاهر اللامبالاة الجبانة ، او مسؤولية اللامسؤلية ؟ وفي هذا ايضا على ما اعتقد دحض لزعم الكاتب في بعد الانسانية الوجودية عن الواقع لان سارتر في حياته يحاول ان يسير في سبيل الانسانية المتفوقة .

دمشق — **سلامة العامري**

اعياد

مجموعة قصص لعبد الله نيازي

منشورات دار الاداب ـ بيروت

***

« اعياد » مجموعة قصصية للزميل عبد الله نيازي ، لا استطيع القول بانها تحمل طابعا خاصا على وجه التحقيق والتأكيد ، ولكن الذي لا شك فيه انها تنزع نزوعا انسانيا . فالاخ نيازي لم يهدر وقته ليكتب عن وسادة خالية او عن قلب يطالب برده ، ولم يكتب عن لحظات غرام مراهقة ، ولم يكتب عن حوادث يومية فقاعية ، وانما هو اختار لاعياده مواضيع يحسها نفر كبير من الناس ، ولم يفعل ذلك تصنعا او تكلفا ، لانه يعيش عصره حقا ويكتب وهو يتفاعل معه تفاعلا ايجابيا لا سلبيا يؤدي به الى الانعزال والتقوقع ، انه يتفتح على العالم ، عالمنا الكبير هذا بالرغم من ان نفسه مدماة بجروح صنعتها الحياة بكل قسوة وضراوة.

قد يحيل للمرء ان هول المصائب وعظم النكبات لا بد ان يلد شرا وحقدا اسود يعصف بكل القيم ويبغي تدمير الكون واهلاك الحرث والنسل اطفاء للحقد واخمادا للكراهية المتاججة ،غير ان ذلك الظن يتهاوى، لان النفوس المحنضنة لبذرة غير واحدة تطفح خيرا بعد ان تصهرها الالام وتخلص جوهرها من الشوائب الدنيوية اللاصقة بالتافه من الامور ، فتبدأ بالسمو ، وهي في سموها لا تحلق في خيال ولا تبعد عن واقع ، بل انها تنزع الى سمو متساوق مع جوهر الطبيعة الانسانية الاصيل . وبعد ادراك اخ بياري مهمته ووعى نفسه في هذا الوجود فهو يصرح في المقدمة بوعيه للشقاء الانساني الذي يعم البشرية ويعترف بانه لا يجد الهدوء ولا ينعم بالطمأنينة ان هو لم يلتهب بنلك النار المنضرمة مع الاخرين .. وهدا مضى القاص في قصصه ، تسير كلها في خط واحد، تبحث في خبايا النفس الانسانية لتفصح عن الاصالة الخيرة بعد ان تسقط الصفات الطارئة عليها ، تفعل ذلك في خضم متلاطم من المشاعر والافكار والحركات والمناظر الجانبية ، اشياء صغيرة واخرى كبيرة وهناك الضحك والبكي .. تلك اشياء يقف القاص باصالته الصادقة ويترصد بيقظة ويرقب ويتامل ويتحرى ويحلل الحياة من حوله بصبر واناة وقوة، انه يغني وقت السحر شأنه شأن الكنار وهو في الوقت ذاته صرخة مدوية تنعقب الظلم اني وجد ، هو مختبر دقيق للنفس البشرية ومبضع لا يرحم عند الضرورة .

وهناك خط اخر واضح في مجموعة « اعياد » والمقدمة التي كتبها صاحبها تلقي الضوء على ذلك الخط ، فصاحب المجموعة يتمزق في مقدمته ، القلق يمضغه ليل نهار ، ولكنه ليس قلقا صافيا ، بل هو مشوب بالخوف .. الخوف من ماذا ؟؟ .. ان اشياء كثيرة تخيف صاحب المجموعة ، اشياء كثيرة تملأ نهاره بالالم المض والفزع العيق وتحيل ليله اشباحا كريهة المنظر تبعد عنه اللوم (انه الان يظل يقظا اغلب لياليه، لا لانه يعتبر النوم نقيصة لا تليق بحياة الفنان كما كان يحسبه باسترناك، ولكن لانه لم يعد يعرف متى يهتز الجبل وتدق الاجراس فتتدفق الدماء ..) نعم انه (لم يعد يعرف متى ؟) هذا التوقع المبهم لا يثير القلق فقط .. بل انه يثير الخوف ، لان (متى) اذا تحققت فسوف تتدفق الدماء ..

ثم هاك المحاولة المستمرة القاسية للموازنة بين « موردي وبين متطلبات الحياة الضرورية لزوجة واطفال .. والخوف من المستقبل المرعب .. » ثم هاك « اكف مملوءة ابدا بقيح عفن وممدودة ابدا لتلويث برعم يتحرق للتفتح » و « اغلال غليظة تنتصب امامي كالقدر المحتوم..»

كل هذه الاعترافات الخائفة المرتعدة ترد في مقدمة اعياد .. ثم تنتقل بشكل لا شعوري الى ابطال القصة فاذا هي واضحة في تصرفاتهم كلها ، بل ان الخوف يكاد يكون الطابع المميز لقصص المجموعة ، نستدل عليه بالسلبية ، وبالتمرد الذي لا يتجاوز حدود النفس ، بالاضطراب الذي يجيش في نفس القاص ويظل يعذبه ويتفنن في تعذيبه والقاص

صدر حديثا :

أعياد

مجموعة قصص

بقلم

عبد الله نيازي

٢٥٠ ق. ل — دار الاداب

يتلوى ، حتى اذا بلغ الالم منتهاه نحس ان هناك روحا ناقمة قادرة على ان تدك الجبال ولكن تلك المشاعر الثائرة سرعان ما تبرد وتخمد بحدث صغير ، حدث يكاد يكون تافها اذا ما قيس بضخامة وجسامة المشاعر المحتدمة في نفس القاص . ففي قصة (٢٠ تشرين الثاني) نجد ان بطل القصة يتلقى خبر العدوان على بور سعيد من شخص اخر .. واعتقد ان هذه السمحة السريعة تعطي مدلولا خاصا . فان وضع البطل على الهامش وليس في معترك الاحداث لدليل على حب السلامة والابتعاد عن المشاكل خوف منها .. يؤكد ذلك ان بطل القصة نفسه يحتاج الى من « يقوي روحه المعنوية لا شلها » (ص٣٥) ولانه « كان قد فقد الايمان والثقة بكل شيء » (ص٤١) .. ثم ليس ادل على الخوف من انه كان يحس أو يضخم الاحساس بانه « مرصود مع كل خطوة ، مرصود للتعذيب والتنكيل والقتل » (ص٤٥) ، و « في اعماقه المجهولة شيء مخوف ومرعب » (ص٤٥) .

وعندما تزدحم المشاكل وتغص حياته بالالام نتوقع ثورة عارمة .. ثورة ترمي بالغيظ والغضب والحقد لتعود النفس الى هدوئها .. ولكن البطل « يدور وسط الحجرة كالمهووس لا يدري اي شيء يفعل وقد اغلق عليه الباب » انه يريد أن يظل بمنجى عن المجتمع .. هذا الغول الذي يخيفه .. ان الخوف يشله تماما .. فهو لايدري ماذا يعمل ، بل ولا يعمل وان درى .. « ان شيئا مجهولا ينخسه بقسوة بالغة وباستمرار ليذكره بالعمل الذي يحتمه عليه الواجب في هذه الفترة الفاصلة من التاريخ » (ص٤٨) غير ان الخوف يمنعه من الاتيان باي عمل .. واذا بذروة العواطف تتحول الى احلام .. « فاغمض جفنيه والحلم الخالد ينتصب امامه . كان صفا طويلا من الرجال الاشداء يدكون الارض باحذيتهم القوية يزأرون بالناشيد .. والطائرات تئز في السماء وكان هو في المقدمة يسير بثبات وعلى كتفه آلة الموت .. » نعم انه يسير في المقدمة ولكن ذلك في الحلم .. وطريقة التعويض هذه ، او احلام اليقظة لدليل على النقص الموجود .. وفي قصة « درهم » يكون شوقي خائفا ايضا ، خائفا من الباعة ومن الناس ومن الاطفال ومن صاحب الدولاب .. وفي قصة « اعياد » تتضح السلبية التي اعتقد ان مبعثها الخوف ، فبالرغم من التمرد الفظيع الذي كان يمور في نفس بطل القصة فانه « ما زال في مكانه لم يبرحه رغم قطاعة التمرد الذي يحطمه ، ما زال في مكانه مطروحا كآية جيفة متفسخة ، لم يقع بشيء ، لم يعمل » (ص٧١) « انه ما زال في مكانه لم يبرحه كأي حذاء قديم ، لم يجهد في ان يضع كل هذا التمزق والتمرد موضع التنفيذ ، انه جبان ، جبان ، الى ابعد حدود الجبن » (ص٧٢) .

وقصة « قلق » واضحة العنوان ، وهو دال على الوجل والخوف برز حتى في الاشياء اليسيرة والامور الثانوية كالذي جاء في محتوى القصة. برز حتى في الاشياء اليسيرة والامور الثانوية كالذي جاء في محتوى القصة.

وفي قصة « حمه » الحمال الصغير المسكين .. كان شخصا من اهم ميزانه انه غير ذائب في المجتمع ، بل هو منكمش على نفسه ينظر الى الاخرين بحذر وتخوف ، ثم انه مستطيب للذل ، قانع بذل ، صابر بذل ، ربما تكون نفسه طافحة بالتمرد غير انه لا يجرؤ على الافصاح عنه ، فقد تجمهر عليه رفاقه وظلوا يضربونه « وهو بينهم صامت لا يجرؤ ان يمد اليهم يدا ويرتجف من الخوف » (ص١٠٤) . و «حسن افندي» بطل داخلي .. يملأه القرف .. يسب ويشتم ويضرب ولكن على نطاق التفكير والتخيل فقط . لقد اراد ان يفتح نافذة الباص .. وامتدت يده اليها « ولكنه عدل عن ذلك وانزل يده بسرعة كما لو ان عقربا لسعته ، فقد تجسمت امامه المشاحنة التي وقعت في احد الباصات قبل ثلاثة ايام » لنفس السبب (ص١٢٠) .. وفي قصة « لم يكن مريضا » تبرز لنا صورة ذلك المخمور وهو يعاني اشد المعاناة .. ان الالام تهرسه هرسا حتى يكاد يكفر .. بل ويرفع يديه ليحطم شيئا كبيرا وقويا .. لكن يده تتهاوى لتنغرز اصابعه في لحم ساقه وهو جالس في الباص بينما « تتابعت امامه سنوات عذابه كلها ، اكوام لا تحصى من الجراح الدامية ، اكداس من التمزق المدمر ، الاف من الصور المرعبة تأطرت كلها في شكل غول مخيف » (ص١٧٤) وفي قصة « الاطياف القاسية » نجد ان مشاعره كثيرا ما تصير « عاصفة تظل تدوي وتدوي ثم تهدأ لتجأة هدوء الابد » (ص٢٠٨) ولست اعزو ذلك الهدوء المفاجيء الا الى الخوف .

بعد هذا نعود لنلقي نظرة اخرى على قصص الزميل نيازي ، فلقد لاحظت ان هناك نقاط ضعف تكاد تفسد اجواء القصة او الاجواء العامة التي يحاول القاص ان ينشرها . فالقاص يلتفت الى اشياء اصغيرة وصغيرة جدا ابان تحريكه للخط العام في القصة دون ان تساعد تلك الاشياء على استكمال صورة او ايحاء بشعور معين. ان الزميل عبد الله نيازي يملك قدرة تعبيرية جيدة ، كما انه ماهر في التقاط الصور الموحية . لكنه يفسد ذلك احيانا بمسارب جانبية وحوادث ثانوية لا علاقة لها اطلاقا بجوهر القصة ولا تعين بأي شكل من الاشكال على ملء الجو بما يراد من العواطف والصور . ففي قصة « ٢٩ تشرين الثاني » مثلا نقرأ خمس صفحات فيها وصف لـ « علي » وهو يستقبل الصباح الجميل والطبيعة المشرقة ثم لقاءه لصديقه « حامد » الذي كان واجما حاد التقاطيع ، ويحاول ان يتعرف على سر كآبة صديقه فيبدأ الحوار بينهما ، وعلى حوارهما بالذات تبنى القصة كلها . غير ان القاص سرعان ما يقطع الحوار ويبدأ يصف لنا وقوف الباص وتجمهر الناس عليه وتعلق بعضهم بالباب ، ثم غضب الجابي لهذه الحالة وحديثه الى الركاب .. وبعد هذا كله يعود القاص الى الحوار الاول . وهو حين يتحدث عن « العم صالح » نراه يخرج بحديثه عن جوهر القصة ويستطرد الى طفولة ذلك العم وذكرياته الساذجة دون ان يكون لذلك الاستطراد اي اثر في القصة.

اما في قصة « لم يكن مريضا » فقد تمكن القاص من شد القارىء اليه شدا دقيقا .. انه يجعلك تحس بعمق ضراوة الالم حين تحيل الانسان الى كتلة هامدة من اللحم الميت ، او الى دودة قذرة تدوسها الاقدام باحتقار . وبالرغم من روعة القصة ودقة الوصف ، فان القاص لم يسلم من الخروج عن الجو المشحون بالانفعالات الى حركات ثانوية . ان القصة تدور حول شخص مدقع ، يفترس المرض ابنه وهو لا يملك لذلك دفعا ، فينطلق هائما ليعب السائل الابيض يحرق به جوفه ويخدر اعصابه ، ويحترق جوفه وتتوتر اعصابه ، اكداس من التمزق المدمر ، اكوام لا تحصى من الجراح الدامية تأطرت كلها في شكل غول مخيف ، والعذاب يلوكه بتمهل وتلذذ .. وبدلا من ان يصرف القاص جهده لترسيخ الوان تلك الصورة الرائعة نراه يشتت الاضواء على شخوص ثانوية حتى يبهت لون الشخص الرأيسي في القصة ، فهو مثلا يخرج بك عن الجو المشحون ليصف لك اهتزاز الباص كلما توقف وكلما تحرك ، كما يصف لك الخياط وهو يتأكد من احكام قفل دكانه .. والشارع الذي كان فارغا باهت الالوان ، ثم هناك حوار الشابين الذي طغى على الجو المعذب ، فالكلمات الهازئة والحديث عن الجنس والتعليقات الساخرة كلها امور لا تنسجم مع الجو الذي اراد القاص رسمه . وللقارىء ان يرجع الى مجموعة « اعياد » فسيدرك الكثير من المواقف الثانوية او الحركات الجزئية وهي تتخلل الخطوط العامة بشكل جلي ، وسيدرك ان تلك الحركات او المناظر الفرعية لم تضف الى الصورة المطلوبة اي لون ، بل انها لا توحي بشيء يساعد على التحليق حيث تتداعى المعاني وتنثال الصور كنبع دافق .

هناك ملاحظة اخرى في المجموعة الا وهي الاسلوب التقريري . فهذا الاسلوب المعتمد على النزعة الخطابية ، والذي يكشف الستر عن المعاني كلها كشفا تاما على نقيض مع الاسلوب الحديث الذي يعتمد على الايحاء او اثارة الايحاء بلفظة او رمز معين او حركة بذاتها . وقد لا يلام صاحب المجموعة لو كان الاسلوب التقريري هو ما اتخذه طريقا للتعبير في القصص كلها . ولكن الخط بين اسلوبين متباينين في آن واحد امر يؤاخذ عليه . ففي قصة « ٢٩ تشرين الثاني » يقول واصفا الاعتداء على بور سعيد العربية : « اجل ان مصر قوية ، ما من ذلك شك ، ثم انها لن تكون وحدها . ستهب الدول العربية كلها وتقف وقفة رجل واحد وتسحق هذه الطغمة القذرة ، خصوصا وان الاردن قد طهر من عناصر الشر وان سوريا يديرها الان رجال اشداء يتفانون في العمل من اجل الوحدة .. الخ . »

وذلك اسلوب قريب مما يكتب في الصحف المحلية وهو يتكرر في عدة اماكن من القصة ذاتها ، وفي قصة « اعياد » وفي «لم يكن مريضا».

وهناك ملاحظة اخرى تتعلق بالمحتوى في بعض القصص . فقصة « درهم » مثلا تروي قصة صبي تعطيه امه درهما فيهرع راكضا الىحيث يجتمع الصبيان من امثاله احتفالا بالعيد . وهناك تبرز لنا مشاعر عربية وغير واقعية ، اذا بشوقي يحرص على الدرهم حرصا كبيرا،وينظر الى البائعة وكانهم لصوص يبغون سرقة درهمه . ان المعتاد ان الصبيان من امثال شوقي لا يفكرون مثل هذا التفكير .. بل هم يبسطونايديهمكل البسط لشراء ما ينفع وما لا ينفع . وفي قصة « اعياد » يقبض سعيد على القدح بقوة حتى يتحطم بين اصابعه فتنفرز شظية صغيرة في راحة يده ويسيل خيط من الدم (وجعل يحملق في خيط الدم المتخثر في يده) فالدم قد تخثر اذن !! ولكن « ان الشظية ما زالت تنفرز في راحته ، شظية صغيرة ولكنها كافية لان تجعله ينزف » والتخثروالنزف في آن واحد لا يجتمعان . ثم ان في القصة تكرارا لتعبير « اليداليمنى» و « اليد اليسرى » بشكل ملحوظ ومربك ..

وفي « قلق » نجد ان شخصية جاسم مبهمة وغامضة ، تقرأ القصة دون ان نعلم من هو جاسم ؟ . هل هو ابن ، هل هو زوج ، هل هو عم ، هل هو خادم ؟ . غير ان هناك اشارات غير واضحة تدل على ان جاسما ليس ابا ولا ابنا . فان لم يكن كذلك فما المبرر لهذا القلقالفظيع الذي انتاب ام نزار عليه ؟؟

وفي قصة « حمه » وهو حمال صغير اعتاد عدنان ان يستأجره كلما جاء السوق صباحا . وقد وجده ذات مرة وفي صباح شتاء قارس نصف عار واراد ان يعود معه الى البيت ليعطيه ثوبا الا انه كان على عجلة من امره وفي اليوم الثاني لم يجد « حمه » في محله . وبالرغم من أن عدنان يعلم ان حمه ربما ذهب مع احدهم يحمل له المؤونة ،بالرغم من ذلك نجد ان عدنان جزم جزما قاطعا بان حمه قد مات بردا ، وانه كان سبب موته لانه لم يمنحه ثوبا ، قد يحق لعدنان ان يعتقد بموت حمه لو انه تغيب عن السوق أياما معدودات .. اما انه يجزم باعتقاده اثر غياب حمه ليوم واحد فليس امرا معقولا .

وفي « الحمارة البيضاء » نجد ان الاعرابي ظل ينظر باعجاب الى حمارته البيضاء ثم اطرق خجلا من وساوس بدأت تقزو فكره .. وبعد هذه الافكار تقفز الى ذهنه صورة خديجة بنهديها النافرين وقوامها اللدن ، ثم يتذكر الصعوبات القائمة في وجه زواجه منها . ربما يكون من الطبيعي أن تنطلق افكار الاعرابي الى خديجة اولا حتى اذا ثارت الغريزة العمياء او الحرمان القاسي هو الدافع لمثل هذا العمل دون ان يتملاها .. والقاص حين يريد ان يلفتنا الى نظرة الاعرابي الى حمارته يقول « وحدد نظره اليها ، وخيل اليه انه يراها لاول مرة ، فهو لا يذكر انه شاهد فيها هذا القوام الجميل وهذا البياض الناصع وهذه الرشاقة العظيمة » ولا اظن ان مثل تلك النظرة تنطبق مع الوقع . وقد تكون غرائزه العمياء او الحرمان القاسي هو الدافع لمثل هذا العمل دون ان يكون هناك اي حس بالجمال او اعجاب بالرشاقة .

الملاحظة الاخيرة التي اود ايرادها تتعلق بهفوات لغوية صغيرة : ففي قصة « قلق » قال :

« ظلت ترتجف وهي تنصت الى شيء يخربش دولابها من الداخل .. » فقد قصد المؤلف من « خربش » احداث اصوات خفيفة عابثة ، وهذا المعنى عامي و « خربش » في الفصيح بمعنى افسد ..

وفي قصة « حمه » يقول :

« الا انه تثاقل ان يقطع ثانية كل تلك المسافة التي تزيد على خمس عشرة دقيقة » فقد قصد المؤلف من « تثاقل » التكاسل وهو معنى عامي . و « تثاقل » في الفصيح بمعنى زاد ثقله وبطؤت حركته ..

ويقول :

« .. واسنانه التي كانت ترتطم ببعضها » ولفظة « يرتطم » لاتأتي بمعنى اصطك مطلقا .

وفي قصة « حسن افندي » يقول :

« .. فليس من المعقول أبدا الا يأبهوا به » والصواب ان يقال « يأبهوا له » .

« .. ان ينتبه الى ما تنبه هو اليه » والصواب ان يقال تنبه عليه او له .

هذه لمحات سريعة في مجموعة « اعياد » لا ادعي اني وفيت حق ما فيها من روعة واصالة في الكشف عن المشاعر الانسانية ..

بغداد **عامر رشيد السامرائي**

قصة الايمان

بين الفلسفة والعلم والقرآن

تأليف الشيخ نديم الجسر

***

القي الي كتاب فضيلة الشيخ نديم الجسر المعنون « قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » في طبعته الثانية الصادرة عندار الاندلس في بيروت (٤٠٥ من الصفحات) ، فالفيتني مدفوعا للاتيان عليه اذ ان الموضوعات التي يطرقها وان تكن غير جديدة الا انها تظل شغل العقول النيرة الشاغل على كر العصور والدهور ، وكيف لا يكون الامر كذلك « والنفس الطلعة مشوقة بفطرتها الى المعرفة : تستشرف كل غيب وتشرئب الى كل مجهول فتبحث عن اصل كل شيء وكنهه وسببهوعلته وسره وحكمته » على حد تعبير الكتاب .

والكتاب وان هو يحمل عنوان « قصة » الا انه ليس بقصة بمعنى الكلمة الفني وان حاول المؤلف ان يفرغه في قالب قصصي فاقد لاهم خاصية في القصة عنيت عقدتها ، ولا يقلل هذا من الامر شيئا لانغايته لم تكن سكب ارائه في قالب قصصي او روائي كما يفعل كثير منالفلاسفة الغرب المحدثين عندما يعبرون على لسان شخصياتهم عن نوازع الفكر البشري وهمومه من خلال المواقف التي يتخذونها ، وانما هدف الكتاب الى اسالة موضوعاته في قالب يبعد الضجر عن القارىء في مثل هذه المباحث الصعبة . ولقد وفق المؤلف احسن توفيق في اعتماده اسلوب الحوار ، المعروف في التآليف الفلسفية القديمة ، والذي من شأنه ان ييسر البحث ويقربه ويسهله ويترك للفكر فسحة للتأمل فيشاركالقارىء المؤلف في طرح الاسئلة وتلقي الاجوبة فيشرف على نهاية الكتاب غير مجهد ولا متعب ، كل ذلك في تعبير انيق وجملة حلوة وسجع محبب في غير تكلف .

واذا ما اردنا تعريفا بموضوع الكتاب الفيناه في صفحاته الاولى مطروحا بصورة تساؤل واضح : هل العقل والايمان على طرفي نقيض ؟ وللاجابة على هذا السؤال يمضي بنا الشيخ الجسر في رحلة فكرية مشوقة اتبع فيها التسلسل التاريخي فاذا به يعبر بنا بحور الفلسفة اليونانية مستعرضا اراء اعلامها بفكر نقدي واضح ينم عن تفهم عميق ودراسة مستوعبة للبنات الفكر الانساني الذي ساهم فيه اليونان الاقدمون باعظم قسط . ثم يمضي بنا محدثا عن الفلاسفة المسلمينفي محاولتهم التوفيقية بين العقل والدين ، ملمحا الى ايمانهم بالعقل الانساني القادر على ادراك وجود الله باثاره في مخلوقاته واقامة الادلة الصادقة على ذلك . ثم لا يكتفي الشيخ الجسر بالوقوف بنا عند هذا الحد بل يدفع بالرحلة الى اقصاها فاذا به يستعرض اراء الفلاسفة الغربيين المحدثين باسلوب من عرف اراءهم عن كثب وخبر افكارهم عن

عمق ، فاضحى بوسعه ان ينقل الى القارىء هذه الاراء والافكار بسهولة ما بعدها سهولة ، فاذا بالتراث الفكري الانساني وقد بسط امامنا في وحدته الاصيلة التي لا تقبل التجزئة والانفكاك . ولعل هذه الوحدة هي ما رام الشيخ الجسر ان يثبتها في مؤلفه الضخم ، فاذا بالعقول الانسانية النيرة تتلاقى عبر تعابير مختلفة عن الحقيقة المطلقة .

وبعد ان يفرغ المؤلف من استعراضه للفكر الانساني عبر مراحله التاريخية الطويلة ، ينصرف لما جاء في القرآن من البراهين الدالة على وجود الله وقدرته وحكمته واضعا شروطا ثلاثة للدخول الى هذا المبحث:

١ ـ جمع هذه الايات كلها في صعيد واحد .
٢ ـ رغبة صادقة في درس هذه الايات على ضوء العلم والفلسفة.
٣ ـ انطلاق من قيود التعصب الاعمى لاي رأي ديني او فلسفي .

وقد دلل بوضعه الشرطين الاخيرين على حرية في الرأي وايمان بالعقل يعوزهما كثير من رجال الدين . ولا يلبث ان يأتي على هذه الايات مبينا انها تناولت كل طرق الاستدلال : دليل الحدوث ودليل الوجوب ودليل العلة الكافية ودليل النظام ، نافيا الرأي الشائع عند البعض من ان القرآن لم يترك شيئا من العلوم الا واشار اليه مؤكدا بحق « ان القرآن ليس بدائرة معارف علمية » وان ما ورد فيه من آيات تشير الى الحقائق الكونية انما ورد بقصد التنبيه الى ما في خلق العالم من آثار الارادة والقدرة والعلم والحكمة والاتقان والاتزان ، الدالة على وجود الله ، النافية للتكوين بالمصادفة .

وهذا الرأي يدل مرة اخرى على عمق تفكير المؤلف وقصده في ان يهز هزا عنيفا ما تراكم على الفكر العربي من قشور عطلته خلال فترة طويلة عن الحركة واقعدته عن مواكبة الفكر البشري . وان هذا التصريح يصدر عن المفتي الجسر له دلالته الخاصة ، وهو جدير بالتأمل والتفكر بالاضافة الى ما يحويه كتابه من تقريع ضمني وصريح لبعض علماء الدين الجامدين ، ولا سيما في هذه المرحلة التي تحاول فيها بلادنا اللحاق بركب العالم المتقدم ، نازعة من طريقها كل العوائق .

ولا ينسى المؤلف بعد هذا مناقشة المادين القائلين بخلق العالم مصادفة ، مجيبا على ارائهم بما اثبته العلم من حقائق عن ظواهر الكون النافية للمصادفة ومما يشكل اجابة على كثير من التساؤلات التي تشغل فكر الاجيال الصاعدة .

وبعد ، فلقد عقد في باريس في اوائل هذا العام مؤتمر اشارت اليه جريدة « لموند » في اعدادها المتتالية ضمن اسبوع للفكر الماركسي اشترك فيه العديد من رجال الكنيسة وعلماء الطبيعة والمفكرين العلمانيين وتبودلت فيه الاراء المختلفة والمتناقضة في موضوع البحث الذي دار حول « المادية » ، واعتقد انه لو اتيحت الفرصة للعلامة الجسر ليدلي بدلوه في ذلك المؤتمر على ضوء كتابه لاحدث رأيه دويا فكريا هائلا في كل الاوساط المهتمة بهذه الابحاث الراقية التي كانت ولا تزال محط تدقيق الفكر الانساني .

واذا كان لا بد من ابداء ملاحظة اخيرة حول « قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » فهي خلوها من ذكر المصادر التي اعتمدها المؤلف للاحاطة بالموضوع مما يشكل نقصا بالامكان تلافيه في الطبعات القادمة ، الامر الذي لا يخلو من الفائدة لمن يود الرجوع الى امهات المصادر .

والرجاء كل الرجاء ان لا يكون هذا الكتاب التحفة الوحيدة التي يطلع بها المؤلف على الفكر العربي ، وان يلحقها بروائع كثيرة يتجلى فيها فكره النير وعقله الثاقب وعلمه الواسع .

طرابلس

طارق زيادة

صدر حديثا

عاشق من افريقيا

مجموعة شعرية جديدة يعود بها الشاعر المبدع

محمد الفيتوري

الى قرائه الكثيرين بعد غياب بضعة اعوام

نكهة جديدة في اسلوب متطور

الثمن ليرتان لبنانيتان

منشورات دار الآداب